مظاهر البدعة ووسائل محاربتها

عند محمد رشيد رضا

أ.منوبة برهاني

أستاذة مكلفة بالدروس بكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية

-جامعة باتنة-

قال الله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، قال ﷺ:﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾[2]، وكان ﷺ:﴿إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ﴾[3]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تدل دلالة صريحة على أن البدع هي شرع لم يأذن به الله، وزيادة في الدين الذي أكمله الله، وهي من المحدثات التي نهى وحذر الشارع منها، ولعن محدثها.

ولما كانت البدعة في الدين مرض كل عصر، فقد تصدى لها الكثير من العلماء في مصنفاتهم بالإنكار، وبيان خطرها، وخطر الإعانة عليها والسكوت عنها، كابن تيمية، والعز بن عبد السلام، والشاطبي... وفي العصر الحديث يعد الشيخ محمد رشيد رضا من أبرز العلماء الذين تناولوا موضوع البدعة والابتداع

بالدراسة والتحليل والتفصيل، في مقالات كثيرة نشرها في مجلته المشهورة (المنار)، حيث عقد بابا نفيسا في إبطال البدعة ومحاربة المبتدعين، وسماه: "باب البدع والخرافات والتقاليد والعادات"، واسمه يدل على مسماه، وقد أحسن فيه صاحبه وأجاد، ولو ذهبنا ننقل كل ما اطلعنا عليه من كلامه في هذه المسألة لطال بنا الحديث، لذلك حسبنا أن نشير إلى بعض الجوانب التي نراها هامة سيما في عصرنا هذا، حيث سنكتفي بتناول ما يتعلق بتعريف البدعة، وأدلة تحريمها وأقسامها، وخطر الابتداع، والسبيل الأمثل في محاربة البدع والخرافات.

تعريف البدعة:

أ- **في اللغة:** تطلق البدعة في اللغة على المعاني التالية:

-الاختراع لا على مثال: ومنه قوله تعالى:﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]؛ أي مبدعها[5].

-الحدث في الدين بعد الإكمال: ومنه حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: " نعمت البدعة هذه" [6].

- الشيء الذي يكون أولا: ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[7]، أي ما كنت أول من أُرْسَلُ وقد أُرْسِلَ قبلي رُسُل كثير[8].

- الجديد ومنه: سقاء بديع، أي جديد، ويقال: ابتدعت الراحلة إذا كلّت وحقيقة أنها جاءت بأمر حادث بديع[9].

وعليه فالبدعة في اللغة بمعنى البدع والبديع وهو ما أحدث واخترع على غير مثال سابق، فهي في اللغة تكون محمودة ومذمومة.

ب- في الاصطلاح:

عرف العلماء البدعة بتعريفات كثيرة، وهي وإن اختلفت عباراتها، إلا أنها متحدة في المعنى. ولعل من أجمع هذه التعاريف ما ذكره الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام حيث قال: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"[10].

أما رشيد رضا فيقول - معرفا البدعة-: "هي ما لم يكن في عصر النبي ﷺ ولم يجئ به من أمر الدين كالعقائد والعبادات"[11].

ويُفهم من كلام رشيد رضا الأمور التالية:

- إن البدعة في الدين تكون دائما ضلالة، مادامت الكفاية في ما وضعه الشارع من أحكام وقوانين.

- إن البدعة لا تختص بالعقائد والعبادات، بل تدخل في العادات أيضا، والتشبيه الوارد في التعريف إنما هو للتمثيل لا للحصر، بدليل الأمثلة التي قدمها رشيد رضا للبدع في مجال العادات.

- من خصائص البدعة أنها خارجة عمّا رسمه الشارع، وبهذا القيد يخرج كل ما هو مخترع في الدنيا، مما هو متعلق بالدين وخادم له، كعلم النحو والصرف، وأصول الفقه، وأصول الدين، وسائر العلوم الأخرى.

أدلة تحريم الابتداع في الدين:

لقد وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تحثُّ على الاعتصام بالسنة، ومتابعة النبي ﷺ وذكر منها رشيد رضا الآتي:

أ- من القرآن الكريم:

1- قال الله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [12]، قال رشيد رضا تعليقا على الآية: "إن الله تعالى أكمل الدين بالقرآن، وبيان نبيه ﷺ للناس ما نزل إليهم فيه، فما صح من بيانه لا يعدل عنه إلى غيره، وما في سنته نور يهتدى به في فهم أحكامه... فمن رغب عن سنته ضل وغوى، ولم يسلم من اتباع الهوى"[13].

2- وقال الله عز وجل أيضا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[14]، قال رشيد رضا تعليقا على الآية: "قد أفرد الصراط المستقيم وجمع السبل المخالفة له، لأن الحق واحد والباطل ما خالفه وهو كثير، فيشمل الأديان الباطلة من مخترعة، وسماوية محرفة، ومنسوخة، والبدع والشبهات".

ب- السنة الشريفة:

دلت السنة أيضا على تحريم الابتداع وذمه وزجر الناس عنه، في أحاديث نبوية كثيرة، منها:

1- قوله ﷺ: ﴿من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد﴾.

2- وقوله ﷺ أيضا: ﴿بعثت أنا والساعة كهاتين- ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى- ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة﴾.

يقول رشيد رضا معلقا على الحديث: "كل بدعة ضلالة؛ لأن الله تعالى قد أكمل دينه وأتم به النعمة على خلقه، فليس لأحد بعد النبي ﷺ أن يزيد في الدين عقيدة ولا عبادة، ولا شعارا دينيا، ولا ينقص منه ولا أن يغير صفته؛ بجعل الصلاة الجهرية سرية وعكسه، ولا جعل المطلق مقيدا بزمان أو مكان أو اجتماع أو انفراد لم يرد به الشارع، ولأن يحرم على أحد شيئا تحريما دينيا تعبديا، بخلاف التحريم غير التعبدي كالمتعلق بمصالح الحرب أو المعاش كالزراعة...الخ. وفي هذا النوع ورد حديث ﴿مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ﴾ (15) (16).

أقسام البدعة:

يقسم رشيد رضا البدعة إلى قسمين:

بدعة دينية محضة، وبدعة غير دينية، وعبر عنها بالبدعة اللغوية أو الدنيوية.

وقد صرح بأنه ليس في البدع الشرعية شيء جائز كأن يكون مباحا؛ لأنها لا تكون إلا ضلالة كما ورد في الحديث، إذ أن منها ما يكون كفرا أو وسيلة إلى الكفر، ومنها ما هو حرام وما هو مكروه، وأما البدعة غير الشرعية فهي التي تعتريها الأحكام الخمسة، فمنها الحسن ومنها القبيح. قال رشيد رضا: "إن البدعة إنما تكون ضلالا إذا كانت في الدين، وأما البدعة في غير الدين فمنها الحسن ومنها القبيح"[17]. وفي موضع آخر قال: "البدعة الشرعية لا تكون إلا ضلالة، وأما البدعة اللغوية فهي التي تعتريها الأحكام الخمسة"[18].

1- البدعة الدينية:

هي كل ما لا دليل عليه في الكتاب والسنة من أمر الدين كالعبادات والشعائر الدينية[19]. وهذه البدعة لا تكون إلا سيئة وضلالة محققة، وعليه تحمل الكلية في حديث (كل بدعة ضلالة)، وما في معناها من الأحاديث الأخرى.

وقد قسم رشيد رضا هذه البدعة إلى قسمين باعتبار علاقتها بالأصول الشرعية: بدعة مخترعة، وبدعة مخصصة.

أما **البدعة المخترعة**: "فهي اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لهما"[20].

ومن أمثلة هذه البدعة: الشرك بالله بمظاهره المختلفة، والطواف بغير البيت الحرام كالأضرحة ونحوها.

أما البدعة المخصصة: "فهي التي تكون تخصيصا لعبادة مشروعة بزمان معين، أو مكان معين، أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع. ومن هذا النوع عدّ الفقهاء صلاة الرغائب في رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان من هذه البدع"[21].

وقد سمى الإمام الشاطبي النوع الأول بالبدع الحقيقية، وسمى النوع الثاني بالبدع الإضافية. وأطال في ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلا.

2- البدعة غير الدينية (اللغوية):

وتعني عند رشيد رضا: كل شيء جديد لم يسبق له مثال، وهذه البدعة تعتريها الأحكام الخمسة فيُحكم فيها بحسب ما فيها من النفع أو الضرر.

وقد حدد رشيد رضا مجال هذه البدعة بكونها موكولة إلى اجتهاد الناس، خارجة عن التشريعات الدينية المحضة، فقال: البدعة التي تنقسم إلى حسنة وسيئة لا تكون في التشريع الديني والزيادة في العبادات، أو التصرف فيها بجعل ما ليس بشعار شعارا، وإنما تكون فيما وراء ذلك من الأمور الموكولة إلى اجتهاد الناس من الأعمال والمصالح الدينية والدنيوية"[22].

واستدل رشيد رضا لهذا النوع من البدعة بحديث مسلم:"من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة".

والسنة في الحديث بمعناها اللغوي وهي الطريقة، لا بمعناها الشرعي، إذ أن الشارع هو الله تعالى، وليس لأحد الحق في تشريع أو سن أي شيء في الدين، ويؤكد رشيد رضا هذه الحقيقة معلقا على الحديث السابق بقوله: "ومن البديهي أنه ليس لأحد بعد انقطاع الوحي أن يسن في الدين شيئا، وإنما هي السنن المتعلقة بأمور الناس في تربيتهم وتعليمهم وسياستهم، وسائر مصالحهم التي تنفعهم في دينهم ودنياهم. ولكن ما ينفعهم منها في دينهم لا يعد حكما دينيا يطالب به الناس على أنه دين؛ لأن شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله – عليهم السلام – ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة"[23].

ولما كانت هذه البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة قدم رشيد رضا أمثلة للنوعين:

أما البدعة الحسنة: فمن أمثلتها:

ابتداع أشياء لم تكن في عصر النبي ﷺ ومنها:

– جمع عمر الناس على إمام واحد في صلاة التراويح حيث قال: "نعمت البدعة"، وعدَّ رشيد رضا ما فعله عمر ﷺ بدعة حسنة، لأن المقصد منها هو كراهة التفرق شرعا، قال: "إن صلاة قيام رمضان جماعة مشروع في عهد النبي ﷺ، ولكنه ﷺ لم يواظب عليه لئلا يُظن وجوبُه، وصار الناس بعده يصلونها جماعات متفرقة، فجمعهم عمر على إمام واحد كراهة التفرق شرعا"[24].

- ابتداع آلات للقتال تزيد في قوة الأمة على حفظ دينها ودنياها، الذي يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [25]، وتؤكده القاعدة الفقهية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، ولا يتم الجهاد في هذا الزمان إلا بالعلوم والفنون العسكرية التي لم تكن في العصر الأول. وكتعبيد الطرق وتسهيل سبل المواصلات للمنافع الدينية والدنيوية المشروعة، ولا سيما طريق الحج بإنشاء السكك الحديدية وأمثالها، وكتأليف الكتب المفيدة في ضبط لغة الدين (العربية) وغيرها من العلوم الشرعية، أو الفنون العلمية النافعة[26].

وأما البدعة السيئة: فمثل لها رشيد رضا بمخترعي طرائق الشرور والمضار، كالضرائب والغرامات والفواحش[27].

خطر الابتداع:

يؤكد رشيد رضا أن البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع وافتئات عليه، لذلك فهي من أخطر ما يهدد دين الإسلام، ويشوه حقيقته، ويفسد عبادته، كما أنها طريق إلى تشتيت الأمة. ذلك أن الله أتم دينه وأكمله، فمن زاد فيه كمن نقص منه، وكلاهما جان عليه، وغير راض بما شرعه الله. وباختصار فإن البدعة هدم للدين إذ كلما فشت بدعة، أميتت في مقابلها سنة من سنن الدين، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيى البدع وتموت السنن"[28].

وقال رشيد رضا: "من شر مفاسد البدعة أنها بطول الزمان تُعطَى حكم السنة المشروعة، فَيُعدُّ فاعلها متبعا، ومنكرها مبتدعا، ويخترع أدعياء العلم العلل والشبهات لشرعيتها، والقاعدة العامة عندهم لإثبات كل بدعة قولهم (بدعة حسنة) وهو مصادم لنص حديث (كل بدعة ضلالة)، وهو مجمَع على معناه في البدع الدينية"[29].

إضافة إلى هذا فإن البدعة سلب لحق التشريع، فكأن المبتدع أذن لنفسه أن يُحلَّ ويُحرِّم، ويوجب ويكره، ويزيد وينقص، ويغير في الشعائر، وهذا من أعظم المفاسد، قال رشيد رضا: "الزيادة والنقص أو التغيير في الشعائر من أغلظ من مثله في أعمال الأفراد في حاجة أنفسهم، وأغلظ ذلك ما كان موافقا لعبادة غير المسلمين، كاتخاذ الناقوس أو الطبل للإعلام للصلاة"[30].

هذا وإن البدعة أيضا تُوقِع الخلافَ والنزاعَ والتفرقَ والشقاقَ في الأمة المسلمة مما يؤدي إلى طمس الأحكام، وتشويه العبادات، وقلب الحقائق وإحلال التعصب، قال رشيد رضا: "من شر مفاسد البدع في الدين أن يتعصب لها أهلها مع تهاونهم في السنن وفي الفرائض أيضا، وأعجب من ذلك إقرار أدعياء العلم للمبتدعين على بدعهم، وأعجب من هذا الأعجب تأولها لهم، والرد على منكريها عليهم: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[31] [32].

ومن أخطر مضار الابتداع في الدين كون البدعة مزيجا بين الحق والباطل، إذ أنه غالبا ما يكون مجموع ما يعمله الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو –كما في الاحتفال بالموالد والمواسم – وعليه وجب على المسلم اتقاء مواضع الشبهة، واجتناب مظاهر البدعة من أول الأمر، يقول رشيد رضا: "إن البدعة لا تكون حقا محضا موافقا للسنة؛ إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلا. ولا تكون باطلا محضا لا حق فيه؛ إذ لو كانت كذلك لم تَخْفَ على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل، إما مخطئا غالطا، وإما معتمدا لنفاق فيه وإلحاد، كما قال تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (33) (34).

هذا وإن هناك أضرارا أخرى للبدع سيما في عصرنا هذا، ولو أحطنا بها جميعا لحكمنا بأن جناية البدع والخرافات هي أعظم الجنايات.

وسائل محاربة البدع عند رشيد رضا:

لقد أنكر رشيد رضا البدع التي كان النبي ﷺ يكرر النهي عنها، ويلعن فاعلها، ولكن الناس اليوم جعلوها من مهمات الدين، ومن هذه البدع ما يختص بالعقائد، كاعتقاد وساطة بعض الصالحين الأموات بين الله والناس في قضاء حوائجهم... وأما ما يختص بالأعمال كاتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُّرُج عليها، واتخاذها أوثانا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها، رغم أن الصحابة والتابعين لم يبنوا قبر النبي ﷺ، ولم يصلوا إليه، ولا بنوا قبرا لأحد من المهاجرين والأنصار(35).

وهذه البدع تزيد، وتتجدد حينا بعد حين سيما في زماننا هذا، فإنهم أحدثوا في الدين أشياء كإنشاء عيد الميلاد، والاجتماع في اليوم السابع بعد الوفاة، ثم اليوم الأربعين، وتكلف النفقات الباهظة في المواسم والأعياد وغيرها، ولقد بذل رشيد رضا جهده في مقاومة البدع بالإرشاد في دروسه العامة ومجالسه الخاصة، حيث سعى لإصلاح حال المساجد وما يتبعها من الأضرحة.

ومن الاقتراحات الإصلاحية لمحاربة البدع ولا سيما منها منكرات الموالد التي فشت كثيرا في ذلك الزمان؛ هي طريقة الوعظ والتعليم، وهي على ثلاثة ضروب: الخطابة، قراءة علم الأخلاق والآداب، وسلوك طريق التربية عملا وتحققا وهو المعبر عنه بالتصوف[36].

وقد فصل رشيد رضا القول بشأن تلك الأساليب للحد من البدعة:

فأما الخطابة: فاقترح رشيد رضا أن تُكوَّن لجنةُ علماء يُكلَّف أحد أعضائها الفصحاء بإنشاء خطب تزجر عن هذه البدع زجرا مفصلا، وتبيّن للناس حقيقة التوحيد، وأن الأولياء أحياء وأمواتا ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[37]، بل توضح لهم أن القرآن صرَّح بأن النبي ﷺ بشر مثلنا، وإنما يتميز على سائر الناس بما منحه الله به من الوحي، وأنه ليس عليه إلا البلاغ والتعليم، وتشرح لهم أن الله تعالى تفضَّل على عباده فجعل لكل شيء يحتاجه الإنسان في حياته أسبابا تؤدي إليه... وإذا هم كفروا النعمة بإهمال أسباب السعادة التي أنعم عليهم بها تكاسلا، أو اعتمادا على الخوارق وإبطال سنة الله في

الكون، فإن الله يعذبهم بالحرمان من السعادة، كما هو منصوص في الكتاب السماوي، ومُشاهَد في كتاب الكون الإنساني... على أنه لا تنحصر الخطابة في منابر المساجد، بل ينبغي للعلماء أن يخطبوا في كل مجتمع، ويحذروا من اجتراح السيئات واقتراف البدع بعبارة واضحة، يسهل عليهم فهمها، فلو اتبع أهل العلم هذا المنهج مع العامة لما رأوا منهم إلا إقبالا وقبولا.

وأما قراءة علم الأخلاق والآداب الدينية: فيعرّف الإنسان حقيقة دينه، ويطبع فيه ملكات الفضائل في النفس، إذ أن معرفة أمراض الرّوح وعللها وكيفية معالجتها والأدوية التي تعيد إليها صحتها هي أحرى بالعناية، وأجدر بالتوسع والتطويل من التوسع في معرفة علل الكلام، والتطويل بالقيل والقال... وغير ذلك من المسائل التي تمضي الأعمار ولا يُحتاج إلى شيء منها.

أما التصوف أو سلوك الطريق: فهو التخلق بالأخلاق الفاضلة، وما تتبعه من أعمال البر والتقوى، وذلك هو الإسلام الحقيقي الذي كان عليه سلف الأمة الصالح، ولم يقصد رشيد رضا بالتصوف ذلك المفهوم الذي ظهر بعد أن حدثت الفتن في المسلمين وطفق الناس ينحرفون عن الدين، وبرزت اصطلاحات خاصة حتى صاروا بها فرقة مستقلة عدَّها بعض المؤرخين من الفرق التي انفرقت من الإسلام، ثم بين رشيد رضا أن عمل بعض الصالحين من هؤلاء لا يدل على أنه من الدين؛ لأنه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم أن عمل الصالحين حجة في الدين، وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي، ويجوز عقلا أن يخطئ بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها[38].

ولا شك أن هذه الطرق الثلاثة هي الطرق المثلى لإبطال البدع والمنكرات في كل عصر. قال رشيد رضا: "لو أعطيت هذه الثلاثة حقها من العناية لنهضت الأمة نهضة الأُسُودِ، فاستردت مفقودا، وحفظت موجودا، وبعثها الله مقاما محمودا، هذه الثلاثة هي الأركان التي قام عليها بناء الإسلام، وحُفظ مجده بمراعاتها، وما انثلمت هذه الأركان في مكان إلا انثلم شرف الإسلام، يشهد بهذا تاريخ هذه الأمة لمن نظر بعين التأمل والاعتبار"[39].

تلك جوانب من نظرات محمد رشيد رضا رحمه الله، تكشف عن فقه عميق بمقاصد الشرع ودراية واسعة بالأمور المبتدعة في الدين والتي تزاحم محكمات الشرع فتمنع نفاذها وتحيلها مع مرور الأيام إلى غرائب تستنكرها أحلام الجهلة من الناس.

ولو شئنا أن نستقصي كل نظرات رشيد رضا في هذا الجانب، لجمعنا ثروة كثيرة تصلح أن تكون مجالا لدراسة علمية كبيرة، فلعل فيما قدمنا هنا ما قد يحمل بعض الباحثين على تتبع ما لم نورده، والله ولي التوفيق والسداد. والحمد لله في الختام كما في البدء.

الهوامش

1- المائدة: 3.

2- رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، 2001/9، ح 2499.

3- رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، 359/4، ح 1435.

4- البقرة: 117.

5- مختار الصحاح: 24/1.

6- لسان العرب: 6/8.

7- الزمخشري، أساس البلاغة:32.

8- الاعتصام: 37/1.

9- مجلة المنار: مج 27- ج 9 .

10- المائدة: 3.

11- تفسير المنار: 136/6.

12- الأنعام: 153.

13- رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، 5 / 198، ح 1691.

14- مجلة المنار: مج 27- ج9- ص 424.

15- المرجع : مج 12- ج2- ص 99.

16- المرجع نفسه: مج 12- ج 9- ص 718.

17- المرجع نفسه: مج 12 – ج 9 – ص 718.

18- المرجع نفسه: مج20-ج1- ص 23.

19- المرجع نفسه: مج20-ج1- ص 23.

20- المرجع نفسه: مج 27- ج 3 – ص 176.

21- مجلة المنار: مج 12 – ج 2 – ص 99.

22- المرجع نفسه: مج 32 – ج 4 – ص .

23- الأنفال: 60.

24- انظر مجلة المنار: مج 27- ج3 – ص 176 ومج 14- ج 4 – ص 250.

25- المرجع نفسه: مج 07 – ج 02 – ص 54.

26- الطبراني: المعجم الكبير، 9 / 127.

27- مجلة المنار: مج 33- ج 2 – ص 113.

28- المرجع نفسه: مج 14 – ج 7 – ص 502.

29- المائدة: 41.

30- مجلة المنار: مج 33- ج 2 – ص 113.

31- التوبة: 47.

32- مجلة المنار: مج 21 – ج 9 – ص 469.

33- مجلة المنار: مج 3 – ج 29 – ص 741.

34- المرجع نفسه: مج 1 – ج 7 – ص 112.

35- الفرقان: 3.

36- مجلة المنار: مج1 – ج 7 – ص112 ومج 12- ج 9- ص 718.

37- المرجع نفسه: مج1 – ج 7 – ص 112.

38- مجلة المنار: مج1- ج7- ص112 ومج 12- ج9- ص 718.

39- المرجع نفسه: مج1- ج7- ص112.